جولات خريفية

- ١ -

قابلتها عند التقاء ليلنا ببسمة النهار
حدثتها عن حلمنا تململت
سألتها عن قلبها النابض في عمري ،
ـ فرفّت ابتسامة تدحرجت على منحدر الحزن الثقيل
دعوتها لجولة في النهر كالعشاق فارتمت على
ظل ارتباكها الخجول
وبعد برهة تعثرت على شفاهها حروف صمتها الملول
« غدا نكون مثلما نود ان نكون »
وأغلقت نوافذ الترقب الطويل ..

- ٢ -

رأيتها في عرس جارنا حمامة اليفة
تشابكت عيوننا
حدثتها عن ليلي الطويل والوسائد النظيفة
فارتجفت شفاهنا
سألتها عن عشها فأرخت الاهداب
واشتبكت أكفنا
لكنما ونحن في عباءة التململ الدفيء
رأيت فوق صورها علامة سوداء
وانسربت بداخلي ارتعاشة اليمة
فعدت امضغ اسمها حتى تقيأت الحروف
« فدوى التي وجدت في عيونها ظلى الشفيف
فدوى » وأسدلت على العيون غيمة السكون

- ٣ -

وامي دعتني لقص حكايا مجوني
ورقصي بأعراس كل الصحاب
وحبي لفدوى التيّ فجرت فيّ شعر الصبا
فحملقت في حلية تتدلى على صدرها
وغصت بلون العيون الكليلة
وأرخيت صمتي

- ٤ -

يسألني جلباب جدي
من فوق مشجب الزمان
عن حلتي البنية المستوردة
كيف انحشرت خلفها
كمومياء الحزن والهوان
مقيدا بأعين النساء ؟!
فأنحني امام مرآتي
أهز أكتافي ، والقي نظرة على رباط العنق الجميل
واستدير مشعلا سيجارتي
ومسدلا ستائر الكلام ..

- ٥ -

نهداك جفنا في زمان الخصب وانكسرت جرار الصبر في
سوق البوار
وجلست أبكي فوق دربك جوعي المنسيّ في صمت
الليالي المجدبة
حتى تفجرت الرمال بأعين الموتى تحدق في الصدى
وتناثرت مزق الثياب الداميات على الجيف
فتراقصت غيلان قريتنا البعيدة
غنّى لها الحادي وساق الناقة الجرباء للوادي الخصيب
دقت طبول العرس في الارض الشريدة
فوقفت مذهولا افتش في جيوب العمر عن يوم مضى
أحببت فيه الرقص والخمر العتيقة
وشفاه كل النسوة المتعطشات الى القبل
فوجدت رقعة جدّي المقتول في زمن السكوت
ترنو اليّ بوجهها الدامي وتهمس في ملل
« يا ذلنا الممتد في قلب الزمان
كنا نمني الدمع والاشلاء بالثأر القريب »
فدسستها في جبّ نسياني وعدت أعالج الدمع الكذوب
اشكو جفاف النهد في الزمن الخصيب

- ٦ -

تنكسر الازمان حين تلتقي عيوننا
أقيمها بادمعي سدى
أقفرها الى بكارة التخلّق الجنينيّ على ضلوع حزننا
تعثر خطوتي بعينيك اللتين ظلتا بمرفئي مفتوحتين
أهرب منهما اليهما على طول المدى
أسقط في انحدار دمعتيك رجفة احتضار
وحينما يضمني منديلك الاخضر في انفلاق اعين النهار
أذوب في نسيجه كرعشة شتوية ممزقة
وحين تسكب العيون انهر الوداع
يقوم بيننا الزمان مخرجا لسانه
وتصرخ الغيلان في جوف السواقي ، ترتوي حلوقنا
بالملح والسأم
ينبت في صدورنا الندم
فنحصد احتراقنا
ونسدل الستائر الليلية المقطوعة الشفاه

- ٧ -

رجعت من ايامنا بدون غد
فتشت فيها عن اماسيّ الطفولة الشفيفة
عن وشوشات الحب في كل الحقول
فلم اجد سوى الصدى
ينوح في غور الطلول

محمد فهمي سند